وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

كلية الشريعة والاقتصاد

بالتعاون مع مخبر الدراسات الشرعية

ينظمان الندوة الوطنية حول :

"المذهب المالكي ودوره في نشر الفكر الوسطي"

الأربعاء 28 جمادى الأولى 1447هـ الموافق: 19 نوفمبر 2025م

عنوان المداخلة:"**الوسطية في الإسلام، دراسة في المفهوم، والتّأصيل، والضّوابط والمعايير**".

د. حمزة العيدلي

جامعة المير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة بقسنطينة.

laidlihamza@yahoo.com

ملخص المداخلة

هذه الدراسة التي يتقدم بها الباحث والتي هي بعنوان: "**الوسطية في الإسلام، دراسة في المفهوم، والتأصيل، والضّوابط والمعايير**" تتعلق بموضوع مهم ألا وهو موضوع الوسطية في الإسلام، ولا شك أنَّه من المواضيع التي تحتل الصدارة في الأهميَة، كما أنَّ الحاجة تدعو الحاجة إلى البحث فيه والخوض في غماره، حيث تتجلى أهميته في الأمور الآتية: تحرير معنى الوسطيّة ومدلولها الحقيقيّ، تأصيل معنى الوسطيّة من نصوص الكتاب والسُّنّة، بيان أهم مقاصد الوسطيّة وأهدافها، وكذا ذكر أهم معاييرها وضوابطها، كما تتمحور إشكالية هذه الدّراسة حول المعنى الحقيقي للوسطيّة، وكذا بيان تأصيلها الشَّرعي من الكتاب والسنّة، وأمَّا عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الاستقرائي التّحليلي، وأما بالنسبة لمحاور هذه الدراسة فهي تتكون من محورين رئيسيين وهما كالآتي:

- المحور الأول: الوسطية، المفهوم والتّأصيل.
- المحور الثاني: الوسطية، المقاصد والمعايير.

الكلمات المفتاحية:الوسطية – مفهوم – تأصيل – كتاب – سنة – مقاصد – معايير.

الملخص اللغة الانجليزية

This study, presented by the researcher and entitled **"Moderation in Islam: A Study of its Concept, Foundations, Principles, and Standards"** addresses a crucial topic:

moderation in Islam. Undoubtedly, this is a subject of paramount importance, and there is a pressing need to explore and delve into it. Its significance is evident in the following: clarifying the meaning and true implications of moderation; grounding the concept of moderation in the texts of the Quran and Sunnah; explaining the most important aims and objectives of moderation; and outlining its key principles and criteria. The central problem of this study revolves around the true meaning of moderation and its legal foundations in the Quran and Sunnah. The methodology employed is inductive and analytical. The study is structured around two main axes:

- Axis One: Moderation: Concept and Foundations
- Axis Two: Moderation: Objectives and Standards

Keywords: Moderation – Concept – Foundations – Book – Sunnah – Objectives – Standards.

المحور الأول: الوسطيَّة، المفهوم والتَّأصيل.

المبحث الأوَّل: في مفهوم الوسطيَّة لغة واصطلاحا

المطلب الأوَّل: المدلول اللُّغوي للوسطيَّة

إنّ كلمة (الوسطيّة) بناءٌ لغويٌّ صحيحٌ يدل على معانٍ عدّة متقاربة في مدلولها كما ذكر ذلك أئمّة اللغة، يقول الإمام ابن فارس في معجم المقاييس: **"الواو والسّين والطّاء: بناءٌ صحيحٌ يدلُّ على العدل، والنِّصف، وأعدلُ الشّيء أوسَطُهُ وَوَسَطُه..."**[1]، وقبل الخوض في ذكر معاني الوسطيّة من النّاحيّة اللغويّة لا بُدّ من التّنبيه على أمر مُهمٍّ وهو أنّ كلمة (وسط) قد ضُبطت لغة على وجهين اثنين وهما: (وَسْط) بتسكين السّين، و(وَسَط) بتحريكها، ولكُلٍّ منهما معناه الذي يدلُّ عليه:

-الوجه الأوّل: (وَسْطَ) بتسكين السّين، وعلى هذا الضّبط تكون ظرفا بمعنى (بَيْنَ) وزنا ومعنى، فهي على هذا المعنى ظرفٌ وليست اسما جاءت على وزن نظيرها (بين)، تقول: (جلستُ وسْطَ القوم) أي: بينهم، ومنه قول الشّاعر سوّار بن المضرّب: إنّي كأنّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسْطَ النَّاسِ عُرْيانَا [بحر البسيط]

فوسط هنا بمعنى: بين، وفي هذا يقول صاحب اللسان: **"وأمّا الوَسْط بسكون السّين فهو ظرفٌ لا اسمٌ، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين)، نقول: جلست وسط القوم أي بينهم"**[2].

---

[1] مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس: (108/6).

[2] لسان العرب لابن منظور: (294/15).

-الوجه الثّاني: (وَسَطَ) بتحريك السّين، وعلى هذا الضّبط تأتي لمعانٍ عديدة متقاربة، فتأتي:

1) اسمالمابينطرفيالشّيءوهومنه،تقول:
أمسكتوسَطَالحبل،وكسرتوسَطَالرُّمح،وجلستُوسَطَالدّار،جاءفيلسانالعرب:
"اعلمأنّالوَسَطَبالتّحريكاسمٌلمابينطرفيالشّيءوهومنه،كقولك: قبضتوسَطالحبل، وكسرت وسَط الرُّمح، وجلست وسَط الدّار"[3].
2) وتأتي صفةً بمعنى: (خيار وأفضل وأجود)، فأوسط الشّيء أفضله وخياره وأجودُه، ومنه المرعى الوسط، أي: المحل الأفضل من طرفيه، ورجلٌ وسَطٌ أو وسيطٌ أي: أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا[4]، وهم وسطٌ في قومهم، أي: خيارٌ فيهم، ومنه قول زهير:
هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ [الطّويل].
ومنه: واسطة القلادة؛وهي الدّرّة التي في وسطها، وهي أنفسُ خرزها تُجمّلها وتُزيّنها[5]، ومنه قول ابن الرُّوميّ يبكي أحسن أبنائه:
تَوخَّىحِمَامُالموْتِأَوْسَطَصِبْيَتِيفَلِلَّهِكَيْفَاخْتَارَوَاسِطَةَالعِقْدِ [الطّويل].
3) تأتي بمعنى (عدل أو أعدل) كما تقدّم من كلام ابن فارس آنفا، فوسَطُ الشّيء وأوسَطُه أعدله، والوَسَطُ بالتّحريك: من كُلِّ شيء أعدله[1].
4) وتأتي بمعنى الشّيء المعتدل بين الجيّد والرّديء، فالوسط هنا: الشيء المعتدل الواقع بين بين، يقول صاحب الصّحاح: **"ويُقال أيضا (شيء وسطٌ) أي: بين الجيّد والرّديء"**[2]، وقال صاحب المصباح: **"الوسَطُ بالتّحريك: المعتدل، يُقال: شيء وسط أي: بين الجيّد والرّديء"**[3].

المطلب الثّاني: المدلول الاصطلاحي للوسطيَّة

إنّ مصطلح (الوسطيّة) من المصطلحات حديثة النّشأة التي لم تؤثر عن الأئمّة السّابقين، صحيحٌ أنّ معناها وفحواها طافحٌ في كتب المتقدّمين من الأئمّة، كما أنَّ مضمونها عميقٌ في أدبيات التّراث الإسلاميّ، ولكن بهذا الاصطلاح لم يكن معروفا ولا معهودا، ولهذا يرى كثير من الباحثين أنّ مصطلح الوسطية بدأ يطفو على السّاحة العلميّة والدّعويّة في الثّمانينيّات من القرن الماضي، وخاصّة في كتب ومقالات الشيخ الدّاعية الكبير الدّكتور: يوسف القرضاوي رحمة الله عليه، وعلى هذا الأساس فلا غرابة في عدم الظّفر بتعريف اصطلاحيٍّ لهذه الكلمة من العلماء المتقدّمين، ولهذا سأحاول ذكر بعض التّعاريف التي ذكرها بعض المعاصرين، مع بيان أفضل التّعاريف وأحسنها وأجودها، ومحاولة صياغة تعريف جامع بينها.

---

[3] المصدر السّابق: (294/15).
[4] المصدر نفسه: (296/15).
[5] الصّحاح لإسماعيل بن حمّاد الجوهريّ: (1167/6).
[1] الصّحاح للجوهريّ: (1167/6).
[2] المصدر نفسه: (1167/6).
[3] المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيّومي: (194/2).

إنّ أحسنَ تعريف وقفتُ عليه للوسطيّة هو ما ذكره الشيخ الدّكتور يوسف القرضاويُّ في كتابه: (كلمات في الوسطيّة الإسلاميّة ومعالمها) حيث قال معرّفا إيّاها: **"ونعني بها: التّوسُّطَ أو التّعادلَ بين طرفين متقابلين أو متضادّين، بحيثُ لا ينفردُ أحدُهما بالتّأثير، ويطّردُ الطّرف المقابل، وبحيثُ لا يأخذُ أحدُ الطّرفين أكثرَ من حقّه، ويطغى على مقابِلِه ويحيفُ عليه"**[4]، ثمّ بيّن وضرب أمثُلًا للأطراف المتقابلة والمتضادةِ المطلوبِ تحقيقُ التّوازن فيها وذلك مثل: الرّبانيّة والإنسانيّة، الرّوحيّة والماديّة، الأُخرويّة والدّنيويّة، الوحيُ والعقلُ، الواقعيّة والمثاليّة، الثّباتُ والتّغيُّر، فكُلُّ هذه المتقابلات والمتضادّات الوسطيّةُ فيها تعني تحقيق التّوازن بينها، بحيثُ يُفسح لكُلِّ طرفٍ منها مجاله، ويُعطى حقَّه بالقسطاس المستقيم[5].

وقد عرّفها أيضا الدّكتور فريد عبد الكريم الفريد بقوله: **"هي معنىً يتّسع ليشمل كُلَّ خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، فإنّ السّخاء وسطٌ بين البخل والتّبذير، والشّجاعة وسطٌ بين الجُبن والتّهوُّر، والإنسانُ مأمورأن يتجنّبَ كُلَّ وصف مذموم، وكلا الطّرفين هنا وصفٌ مذموم، ويبقى الخيارو الفضل للوسط"**[6].

وعرّفها عبد الله بن سليمان الغفيليّ بقوله: **"الوسطيّة في الشّرع تعني الاعتدال والتّوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط، أو غلُوٍّ وتقصير، وهذه الوسطيّة إذن هي العدل الطّريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة"**[1].

فهذه التّعاريف المنقولة كلُّها تصبُّ في مضمار وسياق واحد، ويُمكنني أن أقترح وأصوغ تعريفا للوسطيّة انطلاقا من التَّعاريف السّابقة، حيث يُمكن لنا القول في الوسطيّة أنّها: **"وضع الشيء في الأمور المتقابلة أو المتناقضة على نحو متوازنٍ ومتعادل بين طرفي التّناقض، بحيثُ لا يغلبُ أحدُ النّقيضين على الآخر"**، والوسطيّة هي المنهج الرّبّانيُّ في التّعامل مع الأمور الذي ارتضاه الله جلّ وعلا لعباده المؤمنين، وهي الميزة التي اختصّ الله بها هذه الأمة المحمديّة.

المطلب الثالث: إطلاقات الوسطية

من خلال ما سبق يتّضحُ لنا المعنى اللغوي الاصطلاحيُّ للوسطيّة، والشيءُ الذي أريد بيانه والكشف عنه في هذا المطلب هو: عن حقيقة إطلاق هذا المصطلح، أو على ماذا يُطلق لفظ الوسطيّة، ومتى يُطلق؟ وقد يقال: ما الفرق الموجود بين هذا المطلب والذي سبقه؟ فيُقال: إنّ الذي قبله يتحدّث عن مفهوم الوسطيّة وتصوُّر معناها في الذّهن، وهنا نتحدّثُ عن الاستعمال الواقعي للوسطيّة، والإطلاق الفعلي لها، فمتى تُطلق الوسطيّة وتوصف بها الأشياء، وما الأمور التي ينبغي توفُّرها حتى يُقال في الشّيء أنّه من قبيل الوسطيّة، خاصّة وأنّنا نرى اختلافا بين

---

[4] كلمات في الوسطيّة الإسلاميّة ومعالمها، يوسف القرضاويّ: (ص:13).

[5] المصدر نفسه (ص:13).

[6] يُنظر: الوسطية في التّرفيه بين المشروع والممنوع، الدكتورة رانيا محمد عزيز نظمي: (ص:13).

[1] يُنظر: الوسطيّة في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، الدّكتور عبد العزيز عثمان شيخ محمد: (ص:12).

العلماء والمفكّرين في إطلاقاتهم للوسطيّة كما سيأتي، ومن هنا كمُنت أهميّة هذا المطلب، فإنّ النّاظر والباحث في موضوع الوسطية يجد أنّ للعلماء والمفكّرين إطلاقين للوسطيّة وهما[2]:

- الأوّل: هناك من جعل مصطلح (الوسطيّة) مرادفا للخيريّة، ولو لم يكن هناك توسُّطٌ بين شيئين حِسًّا أو معنى، وعلى هذا الإطلاق لا يلزمُ لكُلِّ ما يُعتبرُ وسطا أن يكون له طرفان، فالعدلُ وسطٌ ولا يُقابله إلا الظُّلم، والصِّدقُ وسطٌ ولا يُقابله إلا الكذب.
- الثّاني: وهناك أيضا من جعل (الوسطيّة) من التوسُّط بين الشّيئين دون النّظر إلى معنى الخيريّة التي دلّ عليها الشّرع الحكيم.

وما ذُكر من هذين الاطلاقين على حدة فيه نظر، وذلك أنّ المُتأمِّل فيما ورد في الكتاب والسُّنّة، وكذلك المأثور من كلام العرب فيما أُطلق وأُريد به مصطلحُ (الوسطيّة) يجد أنّ هذا المصطلح لا يصحُّ إطلاقه إلا إذا توافرت صفتان اثنتان وهما:

- الخيريّة، أو ما يدلُّ عليها من المعاني المتقاربة كالأفضل والأعدل وغيرها.
- البينيّة، سواءً أكانت حسيّةً أو معنويّةً.

وعلى هذا الأساس فإذا جاء أحدُ الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلا تحت مسمّى الوسطيّة، ولا يُطلق عليه ذلك، فلا بُدّ مع الخيريّة من البينيّة حتّى تكون وسطا، فالقولُ بأنّ الوسطيّة ملازمة للخيريّة، أي أنّ كلّ أمر يوصف بالخيريّة فهو وسطٌ فيه نظر، بل العكس هو الصّحيحُ، إذ كلُّ وسطيّة تلازمها الخيريّة ولا عكس، وكذلك البينيّة أيضا لا تقتضي الوسطيّة بالضّرورة حتّى تتضمّن وجها من أوجه الخيريّة، فقد يكون الشّيء وسطا بين طرفي النّقيض –حسًّا ومعنًى- ولكنّه لا يكون وسطيا لافتقاره معنى الخيريّة.

ومن هنا نخلُصُ إلى هذا المعنى النّفيس وهو: أنّ أيّ أمر اتصف بالخيريّة والبينيّة جميعا هو الذي يصحُّ أن نُطلق عليه لفظ الوسطيّة، وما عدا ذلك فلا، وهذا الأمر من الأهميّة بمكان، وذلك لضبط وتحرير المعنى الحقّ الذي يُطلق للوسطيّة، وذلك للخلط الكبير الذي يقع فيه الكثير في مسمّى ومعنى الوسطيّة، حيثُ أنّ الكثير من النّاس جعل من معنى الوسطيّة مفهوما للتّساهل والتّنازل، وهذا من الخطأ الواضح، والحيف عن المعنى الصّحيح للوسطيّة، كما أنّ الكثيرين أيضا وقفوا في مفهوم الوسطيّة عند أصل دلالتها اللغويّة وهي التوسُّطُ بين الطرفين، مهما كان موضوع هذا الوسط الذي تمّ اختياره، فالوسطيّة عندهم تقتضي دائما وضع الشيء في الوسط بين طرفي النّقيض، دون التفات إلى وجه الخيريّة الذي ينبغي أن يكون سائدا على هذا التّوسُّط، فلوجود هذا اللّبس في معنى الوسطيّة كان لزاما على من يطرقُ هذا الموضوع أن يُحرّر معنى هذا المصطلح على هذا النّحو، وهو أنّ الوسطيّة لا تتحقّقُ إلا إذا اتّصف الأمرُ بالخيريّة والبينيّة.

---

[2] يُنظر: الوسطيّة في ضوء القرآن الكريم، الشيخ الدّكتور ناصر العمر: (ص:28-29)، الوسطيّة في القرآن الكريم، الدكتور علي محمد الصّلابي: (1/41-42).

المبحث الثَّاني: التَّأصيل الشَّرعيللوسطيَّة

المطلب الأوَّل: الوسطية في القرآن الكريم

لقد وردت مادّة (وسط) في القرآن الكريم في عدّة مواضع، وذلك بتصاريف متعدّدة، حيثُ وردت هذه المادّة في القرآن الكريم بلفظ: (وسطا)، و(الوُسطى)، و(أوسط)، و(أوسطهم)، و(فوسطن)، وسأذكر في هذا المطلب كُلَّ كلمة حسب ورودها في القرآن الكريم بمعانيها المختلفة، وذلك كالآتي:

أولا) وردت هذه المادّة بمعنى العدل والخيار وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾البَقَرَة: ﴿٤٣﴾ فالوسط هنا بمعنى العدل والخيار كما ورد ذلك عن غير واحد من المفسّرين، وكما صحّ وثبت عن النّبيّ ﷺ، فقد ثبت أنّ النّبيَّ ﷺقال: **"يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبّيك وسعديك يا ربّ، فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأمّته: هل بلّغكم، فيقولون: ما أتانا من نذير،فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمّته، فيشهدون أنّه قد بلّغ، ويكون الرّسول عليكم شهيدا، فذلك قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم...) الآية، والوسط: العدلُ"**[1]، وروى الطّبريُّ بإسناده إلى النّبيّ ﷺأنّه قال في قوله: (وسطا) أي: عدولا، ثمّ ساق روايات في هذا المعنى منسوبة إلى جمع من الصّحابة كابن عبّاس وأبي سعيد وأبي هريرة، والتّابعين كمجاهد وغيره[2].

وأمّا تفسيرها بالخيار فقد قال ابن كثير: **"والوسط هنا: الخيارالأجود، كما يُقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا، أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺوسطا في قومه أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصّلاة الوسطى التي هي أفضل الصّلوات وهي العصر"**[1]، وقد نقل الإمام ابن الجوزيّ عن ابن قتيبة تفسير الوسط في هذه الآية الكريمة بالوصفين السّابقين معا فقال: **"وقال ابن قتيبة: الوسطُ: العدلُ والخيار"**[2].

ثانيا) وجاءت هذه المادّة بمعنى الوسطيّة والتوسُّط حسيًّا كان أم معنويًّا، وذلك في قوله تعالى:﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾البَقَرَة: ﴿٢٣٨﴾، وقد اختلف المفسرّون في حقيقة الصلاة الوسطى على أقوال استوعبت الصّلوات الخمس كُلَّها، والذي يهمُّنا في هذا المقام ليس هو ترجيح قول على قول، فهذا له مضانٌّ أخرى، بل الذي يهمُّنا في هذا المقام هو الملْحَظُ والاعتبار الذي اعتبره صاحب كُلِّ قول في ترجيح ما ذهب إليه، حيثُ أنّ أهل العلم ذكروا اعتبارات عديدة للأقوال التي رجّحوها واختاروها، فقد ذكر الإمام الطّبريُّ في تفسيره جملة من الأقوال، ثمّ قال بعد أن رجّح أنّها صلاة العصر: **"وإنّما قيل لها الوسطى: لتوسُّطها الصّلوات المكتوبات الخمس، وذلك أنّ قبلها صلاتين وبعدها صلاتين، وهي بين ذلك وُسطاهُنَّ، والوُسطى: الفُعلى من قول القائل: وسطت القوم أَسِطُهُم سِطَةً ووُسُوطًا، إذا دخلت وسطهم، ويُقال للذّكر فيه: هو أوسطنا، وللأُنثى: هي وُسطانا"**[3]، وعندما ذكر قول من قال إنّها صلاة المغرب بيّن وجه ذلك قائلا: **"ووجّه قبيصةُ بن**

---

[1] أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التّفسير، باب: (وكذلك جعلناكم أمّة وسطا...) الآية، برقم: (4487) من حديث أبي سعيد.

[2] يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطّبريّ: (2/627-629).

[1] تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير: (1/285).

[2] زاد المسير في علم التّفسير، لعبد الرّحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ: (1/154).

[3] جامع البيان للطّبريّ: (4/375).

ذُئيب قوله: (الوسطى) إلى معنى التوسُّط الذي يكون صفة للشيء، يكون عدلا بين الأمرين، كالرّجل المعتدل القامة الذي لا يكون مُفرطا طوله ولا قصيرة قامته، ولذلك قال: ألا ترى أنّها ليست بأقلّها ولا أكثرها"[4].

ثالثا) وجاءت هذه المادّة في كتاب الله بمعنى التوسُّط في الأمور والاعتدال فيها بين بين، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ المَائِدَة: ﴿﴾، فالمفسّرونحملواهذهالكلمةفيهذهالآيةعلىهذاالمعنى،وهوأنّالمُكفِّرَينبغيعليهأنيسلُكسبيلاوسطافيإطعامالعشرةمساكين من حيثُ المقدارُ، ومن حيثُ جودةُ الطّعام، سواءً بالنّظر إلى بلد المُكفِّر، أو بالنّظر إلى أهله، وفي هذا يقول الإمام الطّبريُّ: **"وقال بعضهم: معناه من أوسط ما يُطعم من أجناس الطّعام الذي يقتاته أهل بلد المُكفِّر أهليهم"**[5]، ثمّ ذكر وساق بأسانيده من قال ذلك من أئمّة التّفسير ثمّ قال: **"وقال آخرون: من أوسط ما يُطعم المُكفِّرُ أهله، قال: إن كان ممّن يُشبع أهله أشبع المساكين العشرة، وإن كان ممّن لا يُشبعهم لعجزه عن ذلك أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله في عُسره ويُسره"**[6]، وقال القرطبيُّ: **"تقدّم في سورة البقرة أنّ الوسط بمعنى الأعلى والخيار، وهو هنا: منزلةٌ بين منزلتين، ونصفٌ بين طرفين... وعن ابن عبّاس قال: كان الرّجلُ يقوت أهله قوتا فيه سعة، وكان الرّجل يقوت أهله قوتا فيه شدّة، فنزلت: (من أوسط ما تطعمون أهليكم)، وهذا يدلُّ على أن الوسط ما ذكرناه، وهو ما كان بين شيئين"**[1].

رابعا: وجاءت هذه المادّة بمعنى الأعدل والأخيَر والأفضل، وذلك في قوله تعالى في قصّة أصحاب الجنّة: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾ القَلَم: ﴿﴾، حيثُ أنّ الوسطيّة هنا جاءت بمعنى: الخيريّة والأفضليّة، فقد روى الطّبريُّ بإسناده عن ابن عبّاس، ومجاهد، وابن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعكرمة: **"أوسطُهم: أعدلُهم وخيرهم"**[2]، وقال قتادة: **"أي أعدلهم قولا، وكان أسرع القوم فزعا، وأحسنهم رجعة"**[3]، وهذا المعنى أجمع عليه أهل التّفسير قاطبة.

خامسا: وردت هذه المادّة بمعنى التوسُّط في المكان، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ٥﴾ العَادِيَات: ﴿﴾، حيثُ ذكر المفسّرون أنّ المراد بالوسطيّة هنا التوسُّط في المكان، يقول الإمام الطّبريُّ: **"فوسطن برُكبانِهِنَّ جمع القوم، يُقال: وسَطْتُ القوم بالتّخفيف، ووسَّطْتُه بالتّشديد، وتوسّطته، بمعنى واحد"**[4]،وقال ابن الجوزيّ: **"قال المفسّرون: المعنى توسّطن جمعا من العَدُوِّ فأغارت عليهم، وقال ابن مسعود: (فوسطن به جمعا) يعني: مزدلفة"**[5]،وقال القرطبي: **"(جمعا) مفعولٌ بـ(وسطن) أي: فوسطن برُكبانِهِنَّ العدُوَّ، أي الجمع**

---

(4) المصدر نفسه: (367/4).

(5) المصدر نفسه: (624/8).

(6) المصدر نفسه: (634/8).

(1) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد لن أبي بكر القرطبيُّ: (141/8-142).

(2) يُنظر: جامع البيان للطّبريّ: (180/23-181).

(3) المصدر نفسُه: (181/23).

(4) المصدرُ نفسه: (582/24).

(5) زاد المسير: (209/9).

الذي أغاروا عليهم... يُقال: وسَطْتُ القوم أَسِطُهُم وَسْطاً وسِطَةً، أي: صرتُ وسطهم... ويُقال: وَسطتُ القوم بالتّشديد والتّخفيف، وتوسَّطتُهم بمعنى واحد، وقيل: معنى التّشديد: جَعْلُها الجَمْعَ قسمين، والتّخفيف: صرن في وسط الجمع، وهما يرجعان إلى معنى"[6].

المطلب الثاني: الوسطيَّة في السنَّة النّبويَّة

نستعرض فيهذا المطلب بعض الأحاديث الواردة عن النّبيّ ﷺالتي تدلُّ على مفهوم الوسطيّة، حيث إنَّ هناك أحاديث وردت فيها مادّة (الوسط) وإن لم تدلّ على معنى الوسطيّة المرادة في هذا البحث، وهناك أحاديث تدلُّ على مضمون الوسطيّة وفحواها دون أن ترد فيها مادة (الوسط)، ولهذا فإنّني نقسم هذا المطلب إلى قسمين، وذلك كالآتي:

القسم الأول: أحاديث وردت بمادّة (الوسط).

1) حديثُ أبي سعيد الخدريّ السّابق الذي أخرجه البخاريُّ في الصّحيح، وقد مرّ قريبا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾البَقَرَة: ﴿﴾، حيثُ فسّر النبيُّﷺالوسط هنا بالعدل والخيار، حيثُ أنّ أمّة النبيّ ﷺشهدت بالحقّ على دعوة نوحٍ عليه السّلامُ قومَه، والشّاهد من هذا أنّ الرسول ﷺذكر الوسطيّة هنا وفسّرها.
2) ما أخرجه الإمام التّرمذيُّ في سننه: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾الرُّوم: ﴿ - ﴾،خرجأبوبكرالصدّيقيصيح في نواحي مكّة بهذه الآية الكريمة، فقال ناسٌ من قريش: فذلك بيننا وبينك، زعم صاحبُك أنّ الرّوم ستَغلِبُ فارسَ في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟! قال: بلى -وذلك قبل تحريم الرّهان-، فارتهن أبو بكروالمشركون وتواضعوا الرِّهانَ، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين؟! فسمِّ بيننا وبينك وسطا ننتهي إليه، فسمُّوا بينهم ستّ سنين[1]،فالوسط المذكور هنا في هذا الحديث هو بمعنى الوسط بين الطّرفين، حيثُ أنّ السّتّة هي الوسط بين ثلاث وتسع، فقبلها ثلاث وبعدها ثلاث[2].
3) وعن عبد الله بن معاوية الغاضريّقال: قال النبيُّﷺ:**"ثلاثٌ من فعلهُنّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عَبَدَ الله وحده، وعلم ألا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيّبةً بها نفسُه، رافدة عليه كُلَّ عام، ولم يُعطِ الهرمة، ولا الدّرنة، ولا المريضة، ولا الشّرطَ اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإنّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه"**[3]،والمقصود بالوسط هنا: هو مابين الجيّد الفاخر من الغنم، والرّديء السَّيِّئ المعيب منها.

---

[6] الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ: (436/23).

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب (ومن سورة الروم)، برقم: (3194)، من حديث نيار بن مسلم الأسلمي، وحسنّه الألبانيُّ.

[2] يُنظر: الوسطيّة في ضوء القرآن الكريم، لناصر العمر: (ص:24).

[3] أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الزّكاة، باب: زكاة السّائمة، برقم: (1583)، وصحّحه الألبانيُّ.

4) وعن جابر بن عبد الله قال: كُنّا عند النّبيّ ﷺفخطَّ خطًّا، وخطّ خطّين عن يمينه، وخطَّ خطّين عن يساره، ثمّ وضع يده على الخطّ الأوسط فقال: **"هذه سبيل الله"**، ثمّ تلا هذه الآية:□وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ□□الأَنْعَام: □□□□"[4]، والوسط هنا هو الشّيء بين الشّيئين المتوسِّطُ بينهما.

5) عن أبي هريرة رضي الله عنهأنّ النبيّ ﷺ قال:**"إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدّرجتين كما بين السّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنّه أوسطُ الجنّة، وأعلى الجنّة"**[5]، والأوسط هنا: الأفضل والأحسن، يقول الحافظ رحمه الله: **"والمراد بالأوسط هنا: الأعدلُ والأفضل"**[6].

6) وعن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: **"البركة تنزل في وسط الطّعام، فكلوا من حافّتيه ولا تأكلوا من وسطه"**[7]، ومعنى الوسط هنا واضحٌ، وهو مركز الطّعام ومنتصفه.

7) وعن عبد الله بن مسعودأنّ رسول الله ﷺخطَّ خطًّا مُربّعا، وخطّ وسط الخطِّ المربّع، وخطوطا إلى جانب الخطّ الذي وسط الخطّ المربّع، وخطًّا خارجا من الخطِّ المربّع، فقال: **"أتدون ما هذا؟!"**، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **"هذا الإنسانُ الخطُّ الأوسطُ، وهذه الخُطُوطُ إلى جنبه: الأعراضُ تنهشُه -أو تنهسُه- من كُلِّ مكان، فإن أخطأه هذا أصابه هذا، والخطُّ المربّع: الأجلُ المحيطُ، والخطُّ الخارجُ: الأملُ"**[1]،فالوسط هنا: هو ما كان بين عدّة أطراف، والمسافة بينه وبين تلك الأطراف متساوية.

8) وقالﷺ:**"وسِّطوا الإمام وسدُّوا الخلل"**[2]، ومعنى وسِّطوا هنا: أي اجعلوا الإمامَ في منتصف الصَّفِّ من أَمَامِه، بحيثُ تكون أطراف الصَّفِّ متساوية بالنّسبة لموقف الإمام.

9) وقالﷺ: **"لعن الله من جلس وسط الحلقة"**[3]، والوسط هنا: الدّاخل، أي داخل الحلقة وإن لم يكن في مركزها ومنتصفها تماما، بل كان قريبا إلى أحد الأطراف فهو وسطها.

10)وقالﷺ:**"أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان مُحقّا، وببيت في وسط الجنّة، لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنّة لمن حسُن خُلُقُه"**[4]، والوسط هنا: ما كان بين الأسفل والأعلى.

11)وعن عقبة بن عامر أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"لأن أمشي على جمرة أو سيف، لأن اخصف نعلي برجليَّ، أحبُّ إليَّ أن أمشي على قبر مُسلم، وما أُبالي أوَسَط القبور قضيتُ حاجتي، أو وسط السُّوق"**[5]، والمراد بالوسط هنا: الوسط المكاني.

---

[4] أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب: اتّباع سنّة النبيّ صلى الله عليه وسلّم، برقم: (11)، وصحّحه الألبانيّ.

[5]أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، برقم: (2790).

[6] فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، لأحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ: (52/7).

[7]أخرجه الترمذيُّ في السّنن، كتاب الأطعمة، باب: ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطّعام، برقم: (1805)، وصحّحه الألبانيّ.

[1]أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزّهد، باب: الأمل والأجل، برقم: (4231)، وصحّحه الألبانيُّ.

[2]أخرجه أبو داود في السّنن، كتاب الصّلاة، باب: موقف الإمام من الصّفّ، برقم: (681)، من حديث أبي هريرة، وضعّفه الألبانيّ.

[3]أخرجه التّرمذيُّ، كتاب الأدب، باب: ما جاء في كراهيّة القعود وسط الحلقة، من حديث حذيفة، برقم: (2753)، وضعّفه الألبانيّ.

[4]أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب: في حسن الخُلُق، من حديث أبي أمامة، برقم: (4800)، وحسّنه الألبانيُّ.

12)وعن أبي هريرة أنّ النبيّ ρ قال: **"ليس للنّساء وسط الطّريق"**[6]، والمراد بالوسط هنا: الوسط المكانيُّ أيضا، لأنّ المشروع للمرأة أن تكون بجانب الطريق لا في وسطه، بسب ما يحصل من الفتنة بسبب توسُّطها الطّرقات.

القسم الثّاني: أحاديث في مضمون الوسطيّة وفحواها.

1) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"إنّ هذا الدّين يُسرٌ، ولن يشادّ الدّينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرّوحة، وشيء من الدُّلجة"**[7].قال الحافظ رحمه الله: **"(فسدّدوا) أي الزموا السّداد، وهو الصّواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهلُ اللغة: السّداد التوسُّط في العمل"**[8].

2) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهأنّ النّبيّ ﷺ قال: **"إنّ الله لم يبعثني مُعنِّتا، ولا متعنّتا، ولكن بعثني مُعلّما مُيسِّرا"**[1].
3) وعن محجن بن الأدرع رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: **"إنَّ خَيْرَدِينِكُمْ أيْسَرُه، إنّ خير دِينِكُم أيسَرُه"**[2]، قال السّنديُّ: **"(أيسرُه) إشارة إلى الاعتدال والتوسُّط في الصّلاة وغيره دون الإفراط"**.
4) وعن أبي برزة الأسلميّ رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"عليكم هَدْيًا قاصِدًا، عليكُم هَدْيًا قاصِدًا، عليكُم هَدْيًا قاصِدًا، فإنّه من يُشادّ الدّينَ يغلِبْهُ"**[3]، وفي رواية لأبي هريرة: **"القصدَ القصدَ تبلغوا"**[4]، والقصد هو الاعتدال والوسطيّة، ولهذا قال ابن حجر: **"(القصدَ القصدَ) بالنّصب على الإغراء: أي الزموا الطّريق الوسط المُعتدل"**[5]،وكما أنّ النّبيّ ﷺحثّ على المنهج الوسط المعتدل، وسلوك الهدي القاصد في هذه الأحاديث؛ فإنّه حذّر كل الحذر من منهج الغلوّ والإفراط في دين الله تعالى، كما في الأحاديث التالية:
5) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"هلك المُتَنَطِّعُونَ"**[6] قالها ثلاثا.قال ابن الجوزيّ رحمه الله: **"التنطُّع: التعمُّق والغلُوُّ، والتكلُّف لما لم يُؤمر به، فالحديثُ ظاهره يُخبر عن حال المتنطِّعين**

---

[5]أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب: النّهي عن المشي على القبور والجلوس عليها، برقم: (1567)، وصحّحه الألبانيُّ.
[6]أخرجه ابن حِبّان في صحيحه، كتب الحظر والإباحة، ذكر الزّجر أن تمشي المرأة في حاجتها في وسط الطّريق، برقم: (5601)، وحسنه الألبانيُّ.
[7]أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدّين يُسر، برقم: (39).
[8]فتح الباري: (175/1).
[1]أخرجه مسلم في صحيحه ضمن حيث طويل، كتاب الطّلاق، باب تخيير المرأة لا يكون طلاقا إلا بنيّة، برقم: (1478).
[2]أخرجه أحمد في المسند (313/31)، برقم: (18976).
[3]رواه أحمد في المسند (31/33-32)، برقم: (19786).
[4]أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرّقاق، باب القصد والمداومة على العمل.
[5]فتح الباري: (601/14).
[6]أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب هلك المتنطّعون، برقم: (2670).

ومصيرهم، وهو الهلاك، وبذلك فهو يُرشد إلى التوسُّط والاعتدال في جميع الأمور، ويكون ذلك هو سبيل النّجاة"[7].

6) وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ غداة العَقَبَةِ وهو على ناقته: **"أُلْقُطْ لي حصًى"**، فلقطتُ له سبع حصيات، هُنّ حصى الخذف، فجعل ينفضهُنّ في كفِّه وهو يقول: **"أمثالَ هؤلاء فارمُوا"** ثمّ قال: **"يا أيُّها النّاسُ! إيّاكم والغلوّ في الدّين، فإنّما أهلك من كان قبلَكُم الغُلُوُّ في الدّين"**[8].

7) وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النّبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النّبيّ ﷺ، فلمّا أُخبروا بها كأنّهم تقالُّوها، فقالوا وأين نحن من عبادة النّبيّ ﷺ؟! قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا أصلّي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّجُ أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّجُ النِّساء، فمن رغب عن سُنّتي فليس منّي"[9].

فكُلُّ هذه الأحاديث الواردة عن النّبيّ ﷺ تدل بفحوى خطابها على ضرورة التوسُط والاعتدال في الأمور كُلِّها، وأهميّة سلوك الطّريق الوسط العدل، وأن من انحرف عن الوسطيّة إلى إحدى طرفي النّقيض؛ فإن مآله إلى الهلاك والشّطط والانحراف في دين الله تعالى.

المحور الثاني: الوسطيَّة، المقاصد والمعايير

المبحث الأول: مقاصد الوسطيَّة

قبل الشروع والوقوف على أهمّ مقاصد الوسطيّة ومراميها، ينبغي علينا أن نقف عن كثبٍ أمام ملامح العلاقة بين مقاصد الشّريعة والوسطيّة، وفي سبيل ذلك ينبغي علينا أن نتأمّل روح الشّريعة الغرّاء، التي نجدها جارية في تكاليفها على الطّريق الوسط العدل، الآخذ من الطّرفين بقسط لا ميل فيه، ومن هنا أمكننا القول: إنّ تحقيق الوسطيّة والاعتدال يُعدُّ من أهمِّ مقاصد الشّريعة ومراميها التي تهدف إليها من خلال تشريعاتها وأحكامها، حيثُ أنّ كُلّ أحكام الشّريعة، وكليّاتها الخمس تهدف وترمي إلى تحقيق هذا المقصد العظيم، ألا وهو تحقيق المنهج الوسط في الأمور كلِّها، وهذا هو الصِّراط المستقيم، الذي لا ميل فيه إلى جانب الإفراط والتعمُّق والتّشديد على النّفس وعلى الآخرين، ولا إلى جانب التّساهل الذي يصل إلى حدِّ التّحلُّل والانسلاخ من الأحكام، ولهذا نجد الإمام الشّاطبيَّ رحمه الله تعالى، الذي يُعدُّ أوّل من قعّد وأصّل علم المقاصد، نجده أشار إلى هذه العلاقة والصِّلة بين المقاصد والوسطيّة على النّحو الذي أشرنا إليه آنفا، حيثُ قال رحمه الله: **"الشّريعة جارية في التّكليف بمقتضاها على الطّريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطّرفين بقسط لا ميل فيه، الدّاخل تحت كسب العبد**

---

[7] غريب الحديث لابن الجوزيّ: (418/2).

[8] أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرّمي، برقم: (3029).

[9] أخرجه البخاري في الصّحيح، كتاب النّكاح، باب التّرغيب في النّكاح، برقم: (5063).

من غير مشقّة عليه ولا انحلال"[1]، وقال في موضع آخر مؤكِّدًا لهذا المعنى: **"فإذا نظرت في كُلِّيّة شرعيّة فتأمَّلْها؛ تجدها حاملة على التوسُّط"**[2].

وإذا عرفنا هذا الأمر واستقرّ في أذهاننا، أمكن لنا بعد ذلك إدراك وتحديد أهمّ مقاصد الوسطيّة وأهدافها، التي لا تختلف في جوهرها عن مقاصد الشريعة وأهدافها، ويُمكن لنا ذكر هذه المقاصد والأهداف على النّحو التّالي[3]:

أولا) تحقيق الخيريّة: فإنّ من أهمّ مميزات هذه الأمّة المحمّديّة هي خيريَّتُها وتميُّزها على سائر الأمم الأخرى، ولهذا قال جلّ شأنه: **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** آل عِمْرَان: ، وتُعدُّ الوسطيّةُ والاعتدال أبرزَ دلائل الخيريّة ومظاهرها، فما تبوّأت هذه الأُمّةُ هذه المكانة المرموقة بين الأمم، وما كانت خيرَها وأفضلها؛ إلا باتّخاذ منهج الوسطيّة لها مسلكا وطريقا ومنهجا، فالوسطيّة هي دليل خيريَّة هذه الأمّة، ومظهرُ فضلها وعنوان تميُّزها، وهكذا الأمرُ بالنّسبة للأمور المادّيّة والمعنويّة؛ نجد التوسُّط دائما علامة على الخيريّة، فأفضل حبّات العِقْدِ هي واسطته، ونرى رئيس القوم وزعيمهم في الوسط والأتباع من حوله، وفي الأمور المعنويّة نجد التوسُّط دائما خيرا من التطرُّف.

ثانيا) تحقيق وتمثيل الأمن والأمان: فإنّ الوسطيّة تمثِّلُ ساحل الأمان والبُعدَ عن الأخطار، فقد اقتضت سُنّة الله تعالى في الخلق والتّكوين أنّ الأطراف المتباعدة هي الأكثرُ عُرضةً للخطر والفساد والهلاك، وذلك بخلاف الوسط الذي غالبا ما يكون محميًّا أكثر من غيره، وفي هذا يقول الشّاعرُ:

كانت هي الوسطَ المحميَّ فاكتنفت بها الحوادثُ حتّى أصبحتْ طَرَفا. [البسيط]

وهكذا شأنُ النِّظام الوسط والمنهجِ الوسط، فإنّه أحرى وأجدرُ بالأمن والأمان من غيره، وفي الحديث: **"إنّما يأكلُ الذِّئبُ من الغنم القاصية"**[1] أي: النائية البعيدة عن الوسط.

ثالثا) تحقيق القوّة: فمن أعظم أهداف الوسطيّة ومقاصدها هي تحقيق القوّة في هذه الأمّة وتعزيزها، فكُلّما كانت الأمّة متمسّكةً بالمنهج الوسط وسائرة على نهجه ومنواله؛ كُلّما كانت أكثر قوّة وعزّة، وما انحرفت عن الوسطيّة ومالت إلى أحدى طرفي النّقيض؛ إلا وزادها ذلك وهاءً وضعفا، فالوسطيّة هي دائما مركزُ القوّة

---

[1] الموافقات لإبراهيم بن موسى الشّاطبيُّ: (279/2).

[2] المصدر نفسه: (286/2).

[3] يُنظر في بيان مقاصد الوسطيّة وأهدافها: كلمات في الوسطيّة الإسلاميّة ومعالمها للقرضاويّ (ص:15-19)، الخصائص العامّة للإسلام للقرضاويّ (ص:130-134)، الوسطيّة في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، لعبد العزيز عثمان شيخ محمد (ص:32-40).

[1] أخرجه أبو داود في السّنن، كتاب الصّلاة، باب: التّشديد في ترك الجماعة، حديث رقم: (547)، من حديث أبي الدّرداء، وحسّنه العلامة الألبانيُّ.

والصلابة، ألا ترى أنّ الشّباب والفُتُوّةَ وسط بين ضعفين (الطّفولة والشّيخوخة)، كما أنّ الشّمس في وسط النّهار أكثرُ سطوعا وأشدُّ حرًّا منها في طرفي النّهار أوّلِه وآخرِه، كما أنّ أيَّ مادّة يُعدُّ مركزُ الوسط فيها هو الأقوى والأصلب.

رابعا) تحقيق وحدة الأُمَّة: فمن أهمّ مقاصد الوسطيّة هو تحقيق وتجسيد الوحدة في هذه الأُمّة، فكُلّما كثر التشدُّدّ والتطرُّف، واستشرى الانحلال والتميُّعُ؛ كُلّما كثُرت الآراء، وتفرّقت الأهواء أكثر فأكثر، ولا تتحقّقُ وحدةٌ للأمّة إلا بسلوك منهج واحد، تنصهر فيه كُلُّ الرُّؤى، وتجتمع فيه الكلمة، هذا المنهج هو منهج الوسطيّة، فحين تتعدّدُ الأطراف وتتكاثر؛ يبقى الوسط واحدا لا تعدُّد فيه، وعنده تتلاقى كُلُّ الأطراف، حيثُ أنّه هو الوسط وهو المركز.

خامسا) محاربة التطرُّف والتشدُّد: فيُعد محاربة هذه الظّاهرة الخطيرة التي تفتك بالأفراد والمجتمعات من أهمّ مقاصد الفكر الوسطيِّ وأولويّاته، فالوسطيّة تهدف في روحها وجوهرها إلى حصار ومحاربة ظاهرتي التطرُّف والتشدُّد في دين الله تعالى، القائمين على إقصاء الرّأي الآخر وعدم الاعتراف به، وسوء الظنّ بالنّاس، وغيرها من المظاهر السيّئة التي تُعدُّ أسبابا لهذه الظّاهرة، وكُلُّها تحصُلُ وتقع بسبب غياب فكر التوسُّط والاعتدال عن أذهان النّاس، فتجسيد منهج الوسطيّة وتكريسها في الأفراد والمجتمعات هو أعظم واقٍ يقي من السُّقوط في هاوية التطرُّف.

سادسا) تحقيق اليُسر ورفع الحرج: إنّ أوّل ما يتبادر إلى أذهان النّاس حينما تُذكر الوسطيّةُ هو اليُسر والتّخفيف ورفع الحرج والعنت، وهذا الفهم صحيحٌ لا غبار عليه، فإنّ من أبرز مقاصد الوسطيّة التي تنشُدُها هو التّسهيل على النّاس، ورفع الحرج والإعنات عنهم، في حدود الشّرع وضوابطه، وكُلُّ من انحرف عن الوسطيّة ومال عنها فإنّه يبغي النّاس – شَعَرَ أم لم يَشعُر- العنت والتّشديد، فلا خير إلا في سلوك المنهج الوسط الأعدل، حتّى يتماشى ذلك وروحَ الشّريعة الإسلاميّة المبنيّة في أصلها على التّخفيف ورفع الأغلال والآصار التي وُضعت على الأمم السّابقة.

المبحث الثاني: معايير الوسطيَّة

نحاول في هذا المبحث الأخير ذكرَ جملة من معايير الوسطيّة وضوابطها، وذلك حتّى لا يدّعيَ هذا المنهج من لا يفهمه ولا يعيه، ولا يخوض فيها من هبّ ودبّ، وفي ما يلي جملة من هذه المعايير[1]:

---

[1] يُنظر في بيان هذه المعايير: كلمات في الوسطيّة الإسلاميّة ومعالمها، للقرضاويّ: (ص:39-57)، الوسطيّة والاعتدال، للقرضاويّ، بحث ضمن مؤتمر الوسطيّة بلبنان: (ص:74-97).

- المُلائمة بين ثوابت الشّرع ومتغيّرات العصر: وذلك عن طريق ملاحظة أثر تغيُّر الزّمان والمكان والحال في تغيُّر الفتوى، وفي أسلوب الدّعوة والتّعليم، مع ضرورة مراعاة الثّبات في الأهداف والغايات، والمرونة والتطوُّر في الوسائل والآليات.
- فهم النّصوص الجزئيّة في ضوء مقاصدها الكُليّة: بحيثُ لا يُعارض أحدهما الآخر، ولا يُكتفى بالجزئيّ دون الكُلّيِّ أو العكس.
- التّشديد في الأصول والكلّيّات، والتّيسير في الفروع والجزئيّات.
- التّيسير في الفتوى والتّبشير في الدّعوة: وذلك إتباعا للمنهج القرآنيّ، والغَرْزِ النبويّ، ولئن كان منهج التّيسير والتّبشير مطلوبا في كُلِّ مكان؛ فهو أشدُّ ما يكون طلبا في هذا العصر، الذي تعقّدت فيه حياة النّاس، واختلطت فيه المعايير والموازين.
- اتّخاذ منهج التّدرُّج الحكيم: في الدّعوة والتّعليم والإفتاء والتّغيير، وعدم استعجال الأشياء قبل أوانها، مراعاة لهذه السُّنّة الكونيّة والشّرعيّة ألا وهي: سُنّةُ التّدرُّج.
- احترام العقل والتّفكير، والدّعوة إلى النّظر والتدبُّر: في آيات الله الكونيّة والشّرعيّة، وتكوين العقليّة العلميّة، ومحاربة الجمود والتّقليد.
- الفهم الشّمُوليُّ التّكامليُّ للإسلام: بوصفه عقيدة وشريعة، علما وعملا، عبادة ومعاملة، دعوة ودولة، دينا ودُنيا، حضارة وأُمّة.
- وضع التّكاليف في مراتبها الشّرعيّة: وفهمها فهما متوازنا، وتنزيلها منازلها وفق ما جاءت به النّصوص الشّرعيّة، فلا يُؤخَّر ما حقُّه التّقديم، ولا يُقدَّم ما حقُّه التّأخير، ولا يُصغَّر الكبير، ولا يُكبَّرُ الصّغير، وهذا ما يُطلق عليه فقه الأولويّات.
- التّركيز على القيم الأخلاقيّة: التي دعا إليها الإسلام، سواءً كانت هذه الأخلاق فرديّة أم اجتماعيّة، ورفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشّعائريّة هي كُلُّ شيء، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق هي كُلّ شيء.
- العناية بعمارة الأرض وتحقيق التّنمية المتكاملة: ماديّة وبشريّة، والتّعاون على كُلِّ ما يُيسِّر المعيشة للنّاس، وكلّ ما يشيع الجمال في الحياة.
- السّعي على جمع الشّتات وتقريب الرُّؤى: والعمل على تجميع كُلّ القوى العاملة لنُصرة الإسلام في صفٍّ واحد، مع اعتبار الاختلاف إذا كان من قبيل التنوُّع لا التّضادّ والصّراع.
- الدّعوة إلى المبادئ والقيم الإنسانيّة والاجتماعيّة: وذلك مثل: العدل، والشُّورى، والحرّيّة والكرامة، وحقوق الإنسان.

فهذه جملة من ضوابط الوسطيّة ومعاييرها التي من شأنها أن تضبط المنهج والفكر الوسطيّ، ولا تجعله مصطلحا فضفاضا يدّعيه كُلّ صاحب منهج أو دعوة، كما أنّ هذه المعايير من شأنها أن تجعل الوسطيّة منهجا عالميّا، لا يتقوقعُ على جانب من جوانب الدّين فقط، بل يشمل جميع مناحي الحياة، وكافّة جوانب العيش، من غير تجزئة لأحكام الدّين وتعاليمه.

خاتمة

فبعد هذا العرض الذي سبق ذكره وبيانه؛ فإنّي أجد من المناسب جدّا أن أذكر ما توصّلت إليه في هذا البحث من نتائج فيما يلي:

1) أنّ المعنى اللُّغويّ لكلمة (وسط) يدلُّ على معانٍ كثيرة منها: ما بين طرفي الشّيء، والخيريّة والأفضليّة، والعدل، والتوسُّط في الأشياء بين بين.
2) أنّه لا تلازم بين الوسطيّة والوسط، فكُلُّ وسطيّة فهي وسط ولا شكّ، وليس كلُّ وسط يقتضي بالضّرورة أن يكون دليلا على الوسطيّة.
3) مصطلح الوسطيّة لا يصحُّ إطلاقه إلا إذا توافرت صفتان وهما: الخيريّة والبينيّة، وعلى هذا الأساس فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر؛ لم يصح إطلاق الوسطيّة حينئذ.
4) أنّ مادّة (وسط) وردت في القرآن الكريم في عدّة مواضع، وذلك بتصاريف متعدّدة، حيثُ وردت هذه المادّة في القرآن الكريم بلفظ: (وسطا)، و(الوُسطى)، و(أوسط)، و(أوسطهم)، و(فوسطن)، حيثُ جاءت كُلُّ كلمة حسب معناها الذي لا يخرج عن المعاني اللغويّة للوسطيّة.
5) أنّ مادّة (وسط) وردت في أحاديث كثيرة من أحاديث النّبيّ ﷺ على اختلاف معانيها ومدلولاتها، إذ ليس كُلُّ وسطيّة جاءت في حديث ما تدلُ على ما نحن بصدده، ولكنها لا تخرج عن معاني الوسطيّة اللغويّة.
6) الوسطيّة لها علاقة بمقاصد الشّريعة الإسلاميّة، حيثُ أنّ تحقيق الوسطيّة والاعتدال يُعدُّ من أهمّ مقاصد الشّريعة ومرامها التي تهدف إليها من خلال تشريعاتها وأحكامها، فكُلُّ أحكام الشّريعة وكُليّاتها الخمس تهدف إلى تحقيق هذا المقصد العظيم، ألا وهو تحقيق المنهج الوسط في الأمور كلها.
7) للوسطيّة مقاصد جليلة تهدف إلى تحقيقها منها: تحقيق الخيريّة، وتحقيق الأمن والأمان، ورفع الحرج وجلب التيسير، تحقيق وحدة الأمّة وقوّتها وغيرها من المقاصد الجليلة والأهداف النّبيلة.

مصادر ومراجع البحث

✓ القرآن الكريم.

1) تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، عبد الرحمن بن علي بن محمدبن الجوزي، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى (1428هـ – 2004م).
2) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن الكثير (ت774هـ)، تحقيق: مصطفى السّيّد محمد وأعوانه، مؤسّسة قرطبة للطّبع والنّشر والتّوزيع: (مصر)، الطّبعة الأولى: (1421هـ- 2000م).
3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطَّبري (ت310هـ)، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التُّركي، دار هُجر (القاهرة/مصر)، الطَّبعة الأولى: (1422هـ-2001م).
4) الجامع الصّحيح المُسند من حديث رسول اللهﷺوسننه وأيّامه، محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، تحقيق: محبّ الدّين الخطيب، المطبعة السّلفيّة (القاهرة/مصر)، الطّبعة الأولى: (1400هـ).
5) الجامع لأحكام القرآن والمُبيّن لما تضمَّنه من السُّنَّة وآي القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التُّركي، مؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان)، الطَّبعة الأولى: (1427هـ-2006م).
6) الخصائص العامّة للإسلام، الدكتور يوسفالقرضاويّ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الثانية، (1404هـ – 1983م).
7) زاد المسير في علم التَّفسير، عبد الرَّحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: القسم العلمي بدار النَّشر، المكتب الإسلامي (بيروت/لبنان)، الطَّبعة الثَّالثة: (1404هـ- 1984م).
8) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت273هـ)، بعناية: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف (الرّياض/المملكة العربيَّة السّعوديّة)، تاريخ الطَّبع: (غير متوفِّر).
9) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السّجستانيّ (275هـ)، بعناية: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع (الرّياض/المملكة العربيَّة السّعوديّة)، تاريخ الطَّبع: (غير متوفِّر).
10) سنن التّرمذيّ، محمد بن عيسى بن سورة التّرمذيّ (ت279هـ)، بعناية: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع (الرّياض/المملكة العربيَّة السّعوديّة)، تاريخ الطَّبع: (غير متوفِّر).
11) الصّحاح، إسماعيل من حمّاد الجوهري (ت292هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين (بيروت/لبنان)، الطّبعة الرّابعة: (1990م).
12) صحيح ابن حبَّان، محمد بن حبّان بن أحمد التَّميمي البستي (ت354هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة (بيروت/لبنان)، الطّبعة الثَّانية: (1414هـ-1994).
13) صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج القشيري (ت261هـ)، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة (الرّياض/المملكة العربيَّة السّعوديّة)، الطّبعة الأولى: (1427هـ/2006م).

14) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت852هـ)، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة (الرّياض/المملكة العربيَّة السّعوديّة)، الطّبعة الأولى: (1426هـ/2005م).

15) كلمات في الوسطيّة الإسلاميّة ومعالمها، يوسفالقرضاويّ، دار الشروق (مصر)، الطبعة الثالثة (2011م).

16) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الشَّهير بابن منظور (ت711هـ)، تحقيق مجموعة من العلماء، دار المعارف (مصر)، رقم الطَّبعة وتاريخها: (غير متوفر).

17) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأعوانه، مؤسسة الرّسالة (بيروت/لبنان)، الطّبعة الأولى: (1416هـ/1995م).

18) المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، أحمد لن محمد بن عليّ الفيّومي (ت770هـ)، دون تحقيق، مطبعة التقدّم العلميّة (مصر)، الطّبعة الأولى: (1322هـ).

19) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر (بيروت/لبنان)، الطّبعة الأولى: (1399هـ-1979م).

20) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان، الطبعة الأولى (1417هـ – 1997م).

21) الوسطيّة في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، الدّكتور عبد العزيز عثمان شيخ محمد،(خال من بيانات النّشر).

22) الوسطية في التّرفيه بين المشروع والممنوع، مقال بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الدكتورة رانيا محمد عزيز نظمي، العدد 26، المجلد 3.

23) الوسطيّة في القرآن الكريم، الدكتور علي محمد الصّلابي، مكتبة الصحابة (الإمارات – الشارقة)، الطبعة الأولى (1422هـ – 2001م).

24) الوسطيّة في ضوء القرآن الكريم، الشيخ الدّكتور ناصر العمر، (خال من بيانات النّشر).